محمد بن محمد بن محمود الكُشْمِيْهني(١)

كان صالحاً، صاحبَ مجاهدات ورياضات، وأوصى أن يكتب على كفنه: [من الطويل]

يــــكــــون أُجـــاجـــاً دونـــكـــم

البيت(٢).

يحيى بن القاسم بن المفرّج(٣)

أبو زكريا، التكريتي.

ولي قضاء تكريت، وقَدِمَ بغداد، وولي تدريس النِّظامية، وتوفي في رمضان، ودُفِن بالشُّونِيْزِيَّة، وكان فاضلاً، [ولي منه إجازة،](٤) ومن شعره: [من البسيط]

كـم يـأمُـلُ الـمَـرْءُ آمـالاً وتُـخْـلِـفُـهُ ... وكـم يُـرى آمـنـاً والـمـوت يُـرْدِفُـهُ
وطـالـمـا سَـلَـكَ الإنـسـان شـاكـلـةً ... يـظـنُّ فـيـهـا نـجـاةً وهـي تُـتْـلِـفُـهُ

السنة السابعة عشرة وست مئة

فيها نافق ابنُ المشطوب على الأشرف، وعاث في أرض سِنْجار، وساعده صاحب ماردين، وكان نجمُ الدِّين بن أبي عَصْرون مع ابنِ المشطوب وقد وَزَرَ له، فسار الأشرف، ونزل على دُنَيْسر، وجاء [الملك](٤) الصَّالح، فأصلح بين صاحب ماردين والأشرف، ودخل ابن المَشْطوب تل أَعْفر، وسار إليه فارسُ الدِّين بن صبرة من نَصِيْبين وبدر الدين لؤلؤ من المَوْصل، وحصراه في تل أعفر، فأنزله بدر الدين لؤلؤ بالأمان، وحمله معه إلى المَوْصِل، ثم قيَّده، وبعث به إلى الأشرف، فألقاه الحاجب عليّ في الجُبِّ، فمات بالقَمْل والجوع.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٧٥-٤٧٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٤-٣٢٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) البيت للعباس بن الأحنف، وهو في ديوانه: ص ٤٥ (طبعة دار صادر)، وهو في وصف ماء سيل:

يـكـون أجـاجـاً دونـكـم فـإذا انـتـهـى ... إلـيـكـم تـلـقـى طـيـبـكـم فـيـطـيـبُ

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٧٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (ش).

وكان نورُ الدين بن عماد الدين صاحب قرقيسيا مع الأشرف، وقد كاتَبَ عليه، واتَّفق مع ابن المشطوب، فاعتقله [الأشرف، وبعث به مع العلم تعاسيف إلى قرقيسيا وعانة، وعلَّق نورُ الدين](١) برِجْليه تحت القلعتين وعُذِّب، فَسُلِّمت إلى تعاسيف جميعُ بلاده، وأراد الأشرف أن يرميه في الجُبِّ، فشفع فيه المعظَّم، فأطلق، وسار [نور الدين](١) إلى دمشق، فأحسن إليه المعظم، واشترى نور الدين بُسْتان ابن حَيُّوس في العُقَيْبة، وأقام به.

وفيها قَتَلَ صاحبُ سنجار أخاه، فسار الأشرف إليها، فأخذها، وعوَّض صاحبها الرَّقَّة.

وفيها قصد زين الدين المَوْصل، فخرج إليه بدر الدين لؤلؤ، فهزمه ابن زين الدين، فأُفْلت لؤلؤ وحده.

وفي رجب كانت وقعة البرلس بين الكامل والفرنج، قتل الكامل منهم عشرة آلاف، وغنم خيولهم وسلاحهم، ورجعوا إلى دِمْياط مهزومين.

وفيها نَزَلَ الأشرفُ على المَوْصل نجدةً لبدر الدين على ابن زين الدين، وعَزَمَ على قَصْدِ إربل، فبعث الخليفةُ بهتام الأمير وابن عَطَّاف وسعد الدين الحاجب، فردُّوه عن إربل، وأصلحوا بينهما.

وفيها عزل المعظم المبارز المعتمد عن ولاية دمشق، وولَّى الغرزَ خليلاً.

وفيها كان أَوَّلُ ظهور التَّتر وعبورهم جَيْحون، وكان أول ظهورهم من وراء النهر سنة خمس عشرة وست مئة، وقبل عبورهم جيحون قصدوا بخارى وسَمَرْقند، فقتلوا أهلها وسبوهم، وحصروا خوارزم شاه، وعبروا النهر، فوجدوا الخطا قد كسروا خوارزم شاه، فانضمَّ إليهم الخطا، وصاروا تبعاً لهم، وكان خوارزم شاه قد أخلى البلاد من الملوك، فلم يجدوا أحداً يردُّهم، ووصل [التتر إلى](١) الري وقزوين وهَمَذَان في هذه السنة، فقتلوا أهلها، وأحرقوا مساجدها، وسبوا، ثم توجهوا إلى بلاد أذربيجان ففعلوا كذلك.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وحج بالناس من بغداد أقباش النَّاصري، وقُتِلَ بمكة، ولم يحجَّ أحدٌ من العجم بسبب التتر.

وحج من الشام المبارز المعتمد، وعاد حاجُّ العراق على الشَّام.

وفيها توفي

الملك الفائز إبراهيم بن العادل(١)

كان قد حالف ابنَ المشطوب والأُمراء بمصر على الكامل، ولولا المعظم لتمَّ لهم ما أرادوا، ولما كانت وقعة البرلس قال له الكامل: هؤلاء الفرنج قد استولوا على البلاد، وقد أبطأ علينا الملك المُعَظَّم، وما لملوك الشرق غيرك، فتوجَّه إلى الأشرف، وعَرِّفْه ما نحن فيه من الضَّائقة. فسار إلى الشرق، وكان الأشرف على المَوْصل، فمرض الفائز بين سِنْجار والمَوْصل، وقيل: إنه سُمَّ، فمات، فردُّوه إلى سِنْجار، فدفن عند تُرْبة عماد الدين زنكي.

أقباش بن عبد الله النَّاصري(٢)

اشتراه الخليفة وهو ابنُ خمس عشرة سنة بخمسةِ آلاف دينار، ولم يكن بالعراق أجمل صورةً منه، ثم قرَّبه الخليفةُ إليه ولم يكن يفارقه، فلما ترعرع ولَّاه إمرة الحج والحرمين، وكان [عاقلاً](٣)، متواضعاً، محبوباً إلى القلوب، حَجَّ ومعه خِلَعٌ وتقليدٌ لحسن بن قتادة، وكان قتادة قد مات، فلما وصل أقباش إلى عرفات جاءه راجح بن قتادة [أخو حسن](٣)، وسأله أن يوليه إمارة مكة، وقال: أنا أكبرُ ولد قتادة. فلم يجبه، وظَنَّ حسن أَنَّ أقباش قد ولاه، فأغلق أبوابَ مكة، وجاء أقباش، فنزل بالشبيكة بعد أيام مِنى، ووقعتِ الفتنةُ بين حسن وأخيه، ومنع حسنٌ النَّاس من الدخول إلى مكة، فركب أقباش ليسكِّن الفِتْنة، ويُصْلح بين الأخوين، فخرج عبيد [مكة](٣) وأصحابُ حسن من باب المُعَلَّى يقاتلونه، فقال: ما قَصْدي القتال. فلم يلتفتوا [إليه](٣)، وانهزم

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٩-٣٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣١-٣٣٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

أصحابه، وبقي وحده، وجاء عبدٌ، فَعَرْقَبَ فرسه، فوقع إلى الأرض، فقتلوه، وحملوا رأسه إلى حسن [بن قتادة](١) على رُمْح، فنصبه بالمسعى عند دار العَبَّاس، ثم رُدَّ إلى جسده، ودُفِنَ بالمُعَلَّى، وأراد حسن نَهْبَ الحاجِّ العراقي، فمنعه [المبارز](١) المعتمد، وخوَّفه الكاملَ والمعظم، فأجابه، ووصل الخبر إلى الخليفة، فحزن حُزْناً عظيماً، ولم يخرج الموكب للقاء الحاجّ، وأدخل الكوس والعلم في اللَّيل، ولم تنتطح فيه عنزان [وقد كان أَوْلى أن تتناطح الكباش](١)، وكان قَتْلُه سادس عشر ذي الحِجَّة.

الحسين بن أحمد بن الحسين(٢)

أبو عبد الله، الخِيَاري، من أهل باب البَصْرة.

ولد سنة خمسٍ وثلاثين وخمس مئة، وسمع الحديث، وكان حُفَظَةً للحكايات والأشعار والمُلَح، [وكان يتردَّد إلى جدِّي، ويعجبه كلامه، وسمعته يوماً يحكي له](١)، قال: سُئِلَ ابنُ عقيل، فقيل له: إنَّ الحمارَ يبرد له(٣) في السنة في ليلة واحدة، فإنما هي هذه الليلة، فقال ابنُ عقيل: ما يعرف هذه الليلة إلا مَنْ قد كان حماراً.

قال: ودخل رجلٌ إلى الكَرْخ، فلقيته امرأةٌ، فقالت له: أبو بكر، كيف أنتَ؟ فقال: أهلاً يا عيشة. قالت: فأنا اسمي عيشة! فقال: أفأقتل أنا وَحْدي؟

وكانت وفاته في رمضان، سمع شُهْدَة وطبقتها، كان ثِقَةً.

عبد الله اليونيني أسد الشَّام(٤)

أصله من قريةٍ من قرى بَعْلَبَكَّ يقال لها: يونين، كان صاحبَ رياضاتٍ ومجاهدات، وكرامات وإشارات، لم يَقُمْ لأحدٍ من النَّاس تعظيماً لله تعالى، ويقول: لا ينبغي القيام لغير الله، [صحبته مدة،](١) وما كان يدَّخر شيئاً، ولا يَمَسُّ بيده ديناراً ولا دِرْهماً،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٤-٢٥، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٤-٣٣٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) يبرد له: تعبير عامي، أي يصيبه البرد.

(٤) هو عبد الله بن عثمان بن جعفر بن محمّد اليونيني، وله ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٦-٣٤٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وكان زاهداً ورعاً عفيفاً، وما لبس طول عمره سوى الثَّوْب الخام وقَلَنْسُوة من جلد الغنم تساوي نصف دِرْهم، وفي الشتاء يبعثُ له بعضُ أصحابه فروةَ قرظ يَلْبَسُها، ثم يُؤثر بها في البَرْد، وكان إذا لَبِسَ الثَّوْب [يقول:][(١)] هذا لفلان، وهذا لفلانة.

قال المصنِّف رحمه الله: قال لي يوماً: يا سيد، أنا أبقى أياماً في هذه الزَّاوية ـ وكنا ببعلبك ـ ما آكل شيئاً، فقلتُ له: فأنتَ صاحب القَبُول، كيف تجوع؟ فقال: يا سيد، لأَنَّ أهل بَعْلَبَكّ يتَّكل بعضُهم على بعض، فأجوعُ أنا.

قال: وحدثني عبد الصمد خادمه، قال: كان يأخذ ورق اللَّوْز فَيَفْرُكُه ويستفُّه، وكان الملك الأمجد يزوره ويحبه، وكان الشيخ يُهينه، فما قام له يوماً قط، وكان يقول: يا مجيد، أنت تظلم وتفعل وتصنع، وهو يعتذر إليه.

وأظهر العادل قراطيس سود، فقال الشيخ عبد الله: يا مُسْلمين، انظروا إلى هذا الشيخ الفاعل الصَّانع يُفْسِدُ على النَّاس معاملاتهم، وبلغ العادل، فأبطلها.

[ذِكْرُ طرف من أخباره وكراماته][(٢)]:

كنتُ قد اجتمعت به في الشَّام من سنة ست مئة إلى سنة ثلاث وست مئة، وكان له تلميذٌ اسمه توبة، وكان من الصَّالحين الأجواد، وسافرتُ إلى العراق سنة أربع وست مئة، وحججتُ، فلما كان يوم عرفة صَعِدْتُ جبل عرفات، وإذا بالشيخ عبد الله قاعدٌ على الجبل مستقبلٌ الكعبة، وعليه الثَّوب الخام، وعلى رأسه القَلَنْسُوة السَّوْداء، فسلَّمْتُ عليه، فرحَّب بي، وسألني عن طريقي، وقعدت عنده إلى قريب الغياب، ثم قلتُ له: ما تقوم نروح إلى المزدلفة؟ فقال: اسبقني أنتَ، فلي رفاقٌ. فنزلتُ من الجبل، وأتيت المزدلفة، ووقفتُ بها، وجئت إلى منى، فدخلت مسجد الخَيْف، وإذا بالشيخ توبة خارجٌ من المسجد، فسلَّم عليَّ، فقلتُ له: أين نزل الشيخ؟ ظنًّا مني أنه قد حَجَّ معه، فقال: أيما شيخ؟ قلتُ: عبد الله. قال: خَلَّفْتُه ببَعْلَبَكّ. فَفَطِنْتُ، فقلتُ: مبارك. [ففهم][(١)]، فلزم بيدي وبكى، وقال: بالله حَدِّثْني أيش معنى هذا؟ فقلتُ: رأيته البارحة على عرفات. وحدَّثْتُه الحديث، ثم رجعتُ أنا على بغداد، وجاء توبة إلى

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): وقال المصنف رحمه الله، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

دمشق، وحدَّث الشيخ عبد الله الحديث، فحدَّثني توبة قال: قال لي الشيخ: ما هو صحيح منك، فلان فتى، والفتى ما يكون غَمَّازاً. فلما عدتُ إلى الشَّام عَتَبني الشيخ، فقلت: توبة تلميذُك، فقال: لا تَعُدْ إلى مِثْلِها [(١) كأنه كره أن يُتحدَّث له بكرامة في حال حياته.

وحدثني القاضي جمال الدين بن يعقوب، قاضي كرك البقاع، قال:] كنتُ يوماً عند الجسر الأبيض في مسجدٍ هناك وقت الحَرِّ، وإذا بالشَّيخ عبد الله قد جاء، فنزل ثورا يتوضأ، وإذا بنَصْراني عابر على الجسر، ومعه بغلٌ عليه حِمْلُ خَمْرٍ، فعَثَرَ البغل عند الجسر، [ووقع حِمْلُ الخمر](٢)، وليس في الطريق أحدٌ، فَصَعِدَ الشيخ من النَّهر، وصاح بي: يا فقيه، تعال. قال: فجئتُ فقال: عاوني. فعاونته حتى رَفَعْنا الحِمْلَ على البغل، وراح النَّصْراني، فقلتُ في نفسي: مثل الشيخ يفعل كذا! ثم مشيت خلف البغل إلى العُقَيْبة، فجاء إلى دُكَّان الخَمَّار، فَحَطَّ الحِمْلَ، وفتح الزُّقاق، وقلب ليكيله، فإذا به قد صار خَلًّا، فقال له الخَمَّار: وَيْحك هذا خَلٌّ. فبكى، وقال: والله ما كان إلا خمراً من ساعة، وإنما أنا أعرف العِلَّة، ثم ربط البغل في الخان، وعاد إلى الجبل، وكان الشيخ قد صَلَّى الظهر في المسجد الذي عند الجسر، وقعد يسبِّح، فدخل عليه النَّصْراني وقال: يا سيدي، أنا أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأَسْلَمَ، وصار فقيراً.

[وحكى لي جماعة من أهل بعلبك قالوا: كان جالساً يوماً في زاويته، وإذا بامرأة طالعة، وبين يديها دابة تسوقها، عليها نحاس وثياب، فربطتها، وجاءت إليه، فسلمت عليه، فقال لها: من أين أنت؟ فقالت: نصرانية من جبة المنيطرة. قال: وما الذي جاء بك إلى عندي؟ قالت: رأيت السيدة مريم في المنام فقالت: اذهبي فاخدمي الشيخ عبد الله اليوناني إلى أن تموتي. قالت: فقلت لها: يا سيدتي، فذاك مسلم. فقالت: صحيح أنه مسلم، ولكن قلبه [نصراني](٢)، فقال لها الشيخ: أجادت مريم، ما عرفني غيرها. فأعطاها بيتاً في الزاوية، فأقامت تخدمه ثمانية أشهر، فمرضت، فقال لها الشيخ: أيش تشتهين؟

---

(١) في (ح): ولا تعد إلى مثلها، وقال القاضي كمال الدين يعقوب قاضي البقاع، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش)، وكذلك هو في «المذيل على الروضتين» نقلاً عن سبط ابن الجوزي.

(٢) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين».

قالت: أموت على دين السيدة مريم. فقال: صيحوا بالقسيس، فجاء فقال: خذ هذه إليك، وخذ قماشها، وكان [يساوي][١] خمس مئة درهم، فماتت عند القسيس.

وحكى بعضُ أهل بَعْلَبَكّ أنها ما ماتت إلا مسلمة، وتصدَّق بما خلفت][٢].

وكان يأتي في الشِّتاء إلى عيون الفاسريا؛ ظاهر دمشق لأجل سخونة الماء والوضوء، وبنى له على رأس العين مسجداً صغيراً يأوي إليه، [وكان الدماشقة يخرجون من دمشق إلى زيارته][٢]، قال المصنف رحمه الله: فحكت لي امرأةٌ صالحة، قالت: خرجتُ من دمشق بعد العَصْر، فوصلتُ إلى العيون بعد العِشاء الآخرة، فتوضَّأْتُ وطلعت إلى باب الزَّاوية، وكانت ليلةً مُقْمرة، وإذا بالسَّبُع نائمٌ على باب الزَّاوية، ورأسه على عتبتها، فَيَبِسْتُ، ولم أقدر أتحرَّك، فسحَبْتُ رُكَبي نحو القرية، فلما كان وقت السَّحر هرول السَّبُع ومضى، وخرج الشيخ، فرآني، فقال: ويلك، وأيش كان عليك منه؟! [ومن هذا كثير][٢].

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ شجاعاً لا يبالي بالرِّجال قَلُّوا أو كثروا، وكان قوسه ثمانين رطلاً، وما فاتته غزاةٌ بالشَّام قط، وكان يتمنَّى الشَّهادة، ويُلْقي نفسه في المهالك، [[٣]وحكى لي عنه خادمه عبد الصَّمد قال:] لما دَخَلَ العادل إلى بلد الفرنج، ووصل إلى صافيتا والعُرَيْمة كان الشيخ في الزَّاوية ببعلبك، فقال لي: انزل إلى الثِّقة عبد الله اطلب بغلته، فأحضرتُها، فركبها وخرجتُ معه، فبتنا في يُونين، وقمنا نصف الليل، فجئنا إلى المحدثة قبل الفجر فقلتُ له: لا تتكلَّم ها هنا، فهذا مكمن الفرنج، [قال:][٢] فرفع صوته، وقال: الله أكبر، فجاوبته الجبال، [فمتُّ من الفزع][٢]، ونزل، فصلَّى الفجر، وركب، وطلعتِ الشمس، والطَّيْر لا يطير في تلك الأرض، وإذا قد لاح من ناحية حصن الأكراد طُلْبٌ أبيض، فظنَّهم الاسبتار، فقال: الله أكبر، ما أبركك من يوم، وساق إليهم وقد شَهَرَ سيفه، فقلتُ في نفسي: شيخٌ وتحته بَغْلة، وبيده سيفٌ يسوق إلى طُلْب إفرنج! فلما كان بعد بساعة، وإذا بهم قد قربوا إلينا، وهم عانة حمير وحش، [قال:][٢] فانكسر،

(١) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين».

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): وقال عبد الصَّمد، وما بين حاصرتين من (ش).

وفترتْ هِمَّتُه، فقلتُ له: احمد رَبَّك، فإنَّ الله قد نظر إليك، أنت وحدك تريد تلاقي مئة على بَغْلة! [قال:][(١)] وجئنا إلى حِمْص، فجاءنا الملك المجاهد أسد الدِّين، وقَدَّم له حصاناً من خيله، فركبه، ودخل [معهم،][(١)] فعمل العجائب.

[وكان يقول لصاحبه الفقيه محمد[(٢)]: فيَّ وفيك نزل ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾[التوبة: ٣٤] أنا من الرهبان، وأنت من الأحبار.

ذكر أخلاقه:

قد ذكرنا أن الملك الأمجد كان يزوره ويحبه. وكان الشيخ يهينه، فما قام له قط، وكان يقول له: يا مجيد، أنت تظلم وتفعل وتصنع، وهو يعتذر إليه.

وقد ذكرنا أن العادل أظهر قراطيس سود، فقال الشيخ عبد الله: انظروا يا مسلمين إلى هذا الشيخ الفاعل الصانع يفسد على الناس معاملاتهم، وبلغ العادل، فأبطلها.

وقد ذكرنا أخباره وكراماته وحكاياته، وقد ذكرنا حكايته مع النصراني، ومع المرأة التي كان معها الدابة وعليها النحاس والثياب][(١)].

ذِكْرُ وفاته:

قال عبدُ الصَّمد: لما كان يوم الجمعة نزل، فصلَّى الجُمُعة بجامع بَعْلَبَك، وهو صحيحٌ ليس به شيءٌ، ودخل الحَمَّام قبل الصَّلاة واغتسل، وكان عليه ثوبان: ثوب قد سماه لأُمِّ أيدمر، والآخر لأُمِّ مهجة، وجاءه داود المؤذن، وكان يُغَسِّل الموتى، فقال له: ويحك يا داود، انظر كيف تكون غداً. فما فهم داود، وقال: يا سيِّدي، كلُّنا غداً في خِفارتك. ثم صَعِدَ الشيخ إلى المغارة، وكان قد أمر الفقراء أن يقطعوا صخرةً عند اللَّوْزة التي كان ينام تحتها، ويقعد عندها، وعندها قُبِرَ، وكان في نهار الجمعة قد نَجزَتِ الصَّخرة، وبقي منها مقدار نصف ذراع، فقال لهم: لا تطلُعُ الشَّمْس إلا وقد فَرَغْتُمْ منها، [قال:][(١)] وبات طول الليل يذكُرُ أصحابه ومعارفه، ويدعو لهم، ويقول:

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبدالله الحنبلي، توفي سنة (٦٥٨هـ)، وهو والد قطب الدين اليونيني، مختصر «مرآة الزمان»، انظر ترجمته في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ١٤٨ .

يا سيِّدي، فلانة اجتزتُ بها في الموضع الفلاني أعطتني شَرْبَةَ ماء فشربْتُها، وقليل ماء فتوضأتُ به، اغفرْ لها، وفلان أحسن إليَّ فأحسِنْ إليه. وطَلَعَ الصُّبْح، فصلَّى بي، وخرج إلى صخرة كان يجلس عليها، فجلس وبيده سُبْحته، وقام الفقراء يتمِّمون الصخرة، وطلعتِ الشمس وقد فرغوا منها، والشيخ قاعدٌ نائم والسُّبْحة بيده، وجاء خادمٌ من القلعة إليه في شُغْل، فرآه نائماً قاعداً بحاله، فما تجاسر أن يوقظَه، فقعد ساعة، فطال عليه، فقال: يا عبد الصَّمد، ما أقدر أقعد أكثر من هذا. فتقدمتُ إليه وقلت: يا سيدي، سيدي، فما تكلَّم، فحركتُهُ، فإذا به ميتٌ، وقد فرغوا من الصخرة، وعملوا فيها ساعة وهو ميت، وارتفع الصِّياح، وكان صاحبُ بَعْلَبَكّ في الصَّيد، فأرسلوا وراءه، فجاء، فرآه على تلك الحال، لا وَقَعَ ولا وقعت السُّبْحة من يده، [وهو كأنه نائم، فقال: دعونا نبني عليه بنياناً، وهو على حاله ليكون أعجوبة الدنيا أن الإنسان يموت وهو قاعد ولا يتغير][1]، فقالوا: اتِّباعُ السُّنَّة أَوْلى. وطلع داود، فغسله، ودفع الثَّوبين إلى المرأتين، ولما ألحدوه قال له الحَفَّار: يا شيخ عبد الله، اذكر ما عاهدتنا عليه. قال: فَفَتَحَ عينيه، ونظر إلي شَزْراً، ودفن عند اللَّوْزة يوم السبت في العشر الأول من ذي الحِجَّة، وقد جاوز ثمانين سنة، رحمه الله، ونفعنا به.

قال المصنف رحمه الله: اقتصرنا على هذه اللُّمْعة من فضائله، وكان يستوحش من النَّاس، لما حصل له من الإيناس، فتارةً يكون بجبل لبنان، هاجراً للأوطان، وتارةً بالغسولة وثنية العقاب، يفر من الأسباب، وتارة بضمير، يستنشق روائح الغوير، ولسان حاله يقول: [من الكامل]

وإذا رجعتَ إلى الصَّحيح فَنَجْدُها ... قلبي وبين جوانحي أغوارُها

قَتَادة بنُ إدريس[2]

أبو عزيز، الحسني الزَّيْدي، أمير مكة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٧، وفيه: وقيل كانت وفاته سنة (٦١٨هـ)، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٠-٣٣١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

كان شيخاً، مهيباً، طُوالاً، عادلاً، منصفاً، نِقْمةً على عبيد مكة والمُفْسدين، والحاجُّ في أيامه مطمئنون آمنون على أموالهم ونفوسهم، [ولقد رأيتُهُ لما حججنا][(١)]، وكان يُؤذَّن في الحرم بحي على خير العمل، وما كان يلتفت إلى أحدٍ من خلق الله، ولا وطئ بساط الخليفة ولا غيره، ويُحمل إليه في كلِّ سنة من بغداد الخِلَع والذَّهب، وهو في داره بمكة، وكان يقول: أنا أَحقُّ بالخلافة. ولم يرتكب كبيرةً على ما قيل، وكَتَبَ إليه الخليفة يستدعيه، ويقول: أنتَ ابنُ العَمِّ والصَّاحب، وقد بلغني شهامتُك وحِفْظُك للحاجِّ، وعَدْلُك، وشَرَفُ نفسك، وعِفَّتُك، ونزاهتُك، وقد أحببتُ أَنْ أراك وأشاهِدَك، وأحسنَ إليك، [وأتبرك بقدومك عليَّ،][(١)] فكتب إليه: [من الطويل]

ولي كَفُّ ضِرْغامٍ أُدِلُّ ببطشها وأَشْرِي بها بين الورى وأبيعُ
تَظَلُّ ملوكُ الأرضِ تلثُمُ ظَهْرَها وفي وَسْطِها للمُجْدبين ربيعُ
أأجعلها تحت الرَّحى ثم أبتغي خلاصاً لها إني إذاً لرقيعُ
وما أنا إلا المسْكُ في كلِّ بقعةٍ يَضُوعُ وأما عندكم فيضيعُ

وكانت وفاته في جُمادى الأولى بمكَّة.

محمد بن عمر بن حَمُّوية[(٢)]

أبو الحسن، صَدْر الدِّين، شيخ الشيوخ.

كان صلاح الدِّين - رحمه الله - قد ولَّاه المشيخة مكان أبيه عند وفاة أبيه سنة سبعٍ وسبعين وخمس مئة، ولما ولي العادل مصر ولاه تدريس الشَّافعي ومشهد الحسين والنظر في الخانكاة.

وكان فاضلاً، فقيهاً، سِكِّيتاً، لا يتكلم فيما لا يعنيه، وكانت له الحُرْمة الوافرة عند العادل وأولاده، وكان كثيرَ الخير، ولما استولى الفرنج على دِمْياط بعثه الكامل إلى

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٥-١٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٥-٣٣٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

الخليفة يستنجده، فمرض بين حَرَّان والمَوْصِل، ووصل الموصل في منتصف جُمادى الآخرة، فتوفي بها يوم الاثنين رابع عشرين منه بعِلَّة الذَّرَب، وعمره ثلاثٌ وسبعون سنة، ودُفِنَ إلى جانب قضيب البان.

وكان له من الأولاد: عماد الدين عمر، وفخر الدين يوسف، وكمال الدين أحمد، ومعين الدِّين حسن، وأمهم بنت شهاب الدِّين ابن أبي عصرون.

محمد بن عمر(١)

ابن شاهنشاه بن أيوب، الملك المنصور، صاحب حماة.

كان شجاعاً، محبّاً للعلماء والفُضَلاء، وكان عنده جماعةٌ من المُعَمَّمين لهم الرَّواتب مثل السيف الآمِدي، ومن يجري مجراه، وصنَّف كتاباً سماه «المضمار»(٢)، فيه جملةٌ من التَّواريخ، وأسامي مَنْ وَرَدَ عليه في عشر مجلدات، وكانت وفاته في شوال بحماة، ودفن عند أبيه.

وقام بعده ولده الأكبر الملك النَّاصر قليج رسلان، وجرى له مع الكامل بعد ذلك عجائب، وأخذ منه حماة، وأعطاها لأخيه الملك المُظَفَّر، واعتقل قليج رسلان في الجُبِّ بمِصْر، ومات على أقبح حال.

محمود بن محمد(٣)

ابن قرا رسلان بن أُرْتُق، الملك الصَّالح، ناصر الدِّين، صاحب آمد.

كان شجاعاً، عاقلاً، جَوَاداً، محبًّا للعلماء، وكان الأشرف يحبه، وجاء غير مرة إلى خدمة الأشرف إلى دُنَيْسر وغيرها، ومات بآمد في صفر.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) هو «مضمار الحقائق وسر الخلائق»، وقد طبعت منه قطعة، فيها حوادث سنوات ٥٧٥ـ٥٨٢، بالقاهرة سنة ١٩٦٨ بتحقيق الدكتور حسن حبشي.

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وقد اختلف في سنة وفاته ما بين سنة ٦١٧هـ أو ٦١٨هـ أو ٦١٩هـ.

وقام بعده ولده المسعود، وكان ضد اسمه بخيلاً فاسقاً، حَصَره الكامل بعد ذلك في آمِد، ووجد في قصره خمس مئة امرأة من الحرائر من بنات الناس بغير كتاب، وأخذه الكامل إلى مِصْر وأحسن إليه، فكاتَبَ الرُّوم، وسعى في هلاك الكامل، فحبسه في الجُبّ مُدَّة، ثم أطلق، ومضى إلى التتر، وكان معه الجواهرُ العظيمة والأموال، وأخت مستحسنة، فقتلوه، وأخذوا الجميع.

ناصر بن مهدي(١)

وزير الخليفة.

وقد طعنوا في نسبه(٢)، ولما عُزِلَ أمر الخليفةُ الشُّعراءَ أن يغمزوه في أشعارهم، وكان جَبّاراً قاسياً، وكانت وفاته بدار طاشْتِكِين في جُمادى الأولى، وفُتِحَ له جامع القَصْر، ومشى بين يديه أربابُ الدَّولة بأَسْرهم والحاشية، ودفن بمقابر موسى بن جعفر.

السنة الثامنة عشرة وست مئة

فيها توجه المعظَّم عيسى إلى أخيه الأشرف، واجتمعا على حَرَّان، وكتب صاحبُ ماردين ناصر الدِّين إلى الأشرف يسأله أن يُصْعِدَ المعظم إليه، فسأله، فسار إلى ماردين، فتلقَّاه صاحب ماردين في دُنَيْسر، وأصعده إلى القلعة، وخدمه خدمةً عظيمة، وقدَّم له التُّحف والجواهر، واتَّفقا وتحالفا على ما أرادا، وزوَّج المعظم إحدى بناته ناصرَ الدِّين، وزوَّج ابنه بابنته الأخرى، وخَلَعَ على جميعِ أصحابه، وأعطاهم أموالاً، ورجع المعظَّم إلى حَرَّان.

ووصلت الأخبار بوصول التَّتر إلى [كرماشاهان](٣) قريب بغداد، فانزعج الخليفة، وأمر النَّاس بالقنوت في الصَّلاة، وحَصَّن بغداد، واستخدم العساكر.

وفي جُمادى الآخرة فتحت دمياط.

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ١٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٣٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) كان يدّعي أنّه شريف علوي.

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).